أصحاب العمائم * ظانين ان كل ذي عمامة عالم * فأوهموهم ان طلب السيادة والثروة منبع المآثم * وان المادنية كيفما كانت فهي عدوة للدين * اعلمي انه قد اخطأ أولئك كما اخطأ هؤلاء * وأوقعوا المسلمين في اختلاف الآراء * بل ألقوا بينهم العداوة والبغضاء * فكانوا في ذلك من الظالمين * وخلاصة القول وزبدته * وصفوته وحقيقته * انه لا يرجى لهذه الامة النجاح * والسير في منهاج الفلاح * الا بدعاة ومرشدين * يمثلون لها سعادة الدنيا في مرآة الدين * ويبينون لها كيف جمع القرآن بين مصالح الدارين * حيث جعل الناس على قسمين * (فمنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) وهذا ما قام يدعو اليه المنار في سنتيه الماضيتين وهو ما يصيح به الآن على رأس السنة الثالثة * وقد انتشرت بفضل الله تعاليمه فاشربتها قلوب ولهجت بها ألسنة وكتب بمواضيعه الكتاب * وخطب الخطباء فمن مخطىء ومصيب * ومنتقد ومجيب * وهكذا يكون الامر في اوله وستتجلى الحقيقة للناس ان شاء الله عن قريب * والعاقبة للمتقين . ولتعلمن نبأه بعد حين . قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا

اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء

التعصب

لفظ شغل مناطق الناس خصوصا في البلاد الشرقية تلوكه الالسن وترمي به الافواه في المحافل والمجامع حتى صار تكأة المتكلمين يلجأ اليه العي في تهتهته والدملقاني في تمتمته . أخذ هذا اللفظ بمواقع التعبير فقلما تكون

عبارة الا وهو فاتحتها أوحشوها أو خاتمتها يعدون سماه علة لكل بلاء ومنبعا لكل عناء ويزعمونه حجابا كثيفا وسداً منيعا بين المتصفين به وبين الفوز والنجاح ويجعلونه عنوانا على النقص وعلما للرذائل والمتسربلون بسرابيل الافرنج الذاهبون في تقليدهم مذاهب الخبط والخلط لا يميزون بين حق وباطل هم أحرص الناس على التشدق بهذا البدع الجديد فتراهم في بيان مفاسد التعصب يهزون الرؤس ويعبثون باللحى ويبرمون السبال واذا رموا به شخصا للحط من شأنه أردفوه للتوضيح بلفظ افرنجي « فناتيك » فان عهدوا بشخص نوعا من المخالفة لمشربهم عدّوه متعصبا وهمزوا به وغمزوا ولمزوا واذا رأوه عبسوا وبسروا وشمخوا بأنوفهم كبرا وولّوه دبرا ونادوا عليه بالويل والثبور. ماذا سبق الى أفهامهم من هذا اللفظ وماذا اتصل بعقولهم من معناه حتى خالوه مبدأ لكل شناعة ومصدرا لكل نقيصة وهل لهم وقوف على شيء من حقيقته ؟؟

التعصب قيام بالعصبية من المصادر النسبية نسبة الى العصبية وهي قوم الرجل الذين يعززون قوته ويدافعون عنه الضيم والعداء فالتعصب وصف للنفس الانسانية تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه ووجوه الاتصال تابعة لاحكام النفس في معلوماتها ومعارفها

هذا الوصف هو الذي شكل الله به الشعوب وأقام بناء الامم وهو عقد الربط في كل أمة بل هو المزاج الصحيح يوحد المتفرق منها تحت اسم واحد وينشئها بتقدير الله خلقا واحدا كبدن تألف من اجزاء وعناصر تديره روح واحدة فتكون كشخص يمتاز في أطواره وشؤنه وسعادته وشقائه عن سائر الاشخاص . وهذه الوحدة هي مبعث المباراة بين أمة وأمة وقبيل

وقبيل ومباهاة كل من الامتين المتقابلتين بما يتوفر لها من اسباب الرفاهة وهناء العيش وما تجمعه قواها من وسائل العزة والمنعة وسمو المقام ونفاذ الكلمة . والتنافس بين الامم كالتنافس بين الاشخاص اعظم باعث على بلوغ اقصى درجات الكمال في جميع لوازم الحياة بقدر ماتسعه الطاقة

التعصب روح كلي مهيطه هيئة الامة وصورتها وسائر أرواح الافراد حواسه ومشاعره فاذا ألمّ باحد المشاعر مالا يلائمه من أجنبي عنه انفعل الروح الكلي وجاشت طبيعته لدفعه فهو لهذا مثار الحمية العامة ومسعر النعرة الجنسية . هذا هو الذي يرفع نفوس آحاد الامة عن معاطاة الدنايا وارتكاب الخيانات فيما يعود على الامة بضرر أو يؤول بها الى سوء عاقبة وان استقامة الطبع ورسوخ الفضيلة في أمة تكون على حسب درجة التعصب فيها والالتحام بين آحادها. يكون كل منهم بمنزلة عضو سليم من بدن حي لا يجد الرأس بارتفاعه غنى عن القدم ولا يرى القدمان في تطرفهما انحطاطا في رتبة الوجود وانما كل يؤدي وظائفه لحفظ البدن وبقائه

كلما ضعفت قوة الربط بين أفراد الامة بضعف التعصب فيهم استرخت الاعصاب ورثّت الاطناب ورقت الاوتار وتداعى بناء الامة الى الانحلال كما يتداعى بناء البنية البدنية الى الفناء بعد هذا يموت الروح الكلي وتبطل هيئة الامة وان بقيت آحادها فما هي الا كالاجزاء المتناثرة اما ان تتصل بأبدان أخرى بحكم ضرورة الكون واما ان تبقى في قبضة الموت الى ان ينفخ فيها روح النشأة الآخرة . سنة الله في خلقه . اذا ضعفت العصبية في قوم رماهم الله بالفشل وغفل بعضهم عن بعض وأعقب الغفلة تقطع في الروابط وتبعه تقاطع وتدابر فيتسع للاجانب والعناصر الغريبة مجال التداخل فيهم وان تقوم لهم

قائمة من بعد حتى يعيدهم الله كما بدأهم بافاضة روح التعصب في نشأة ثانية.

نعم ان التعصب وصف كسائر الاوصاف له حد اعتدال وطرفا افراط وتفريط واعتداله هو الكمال الذي بيّنا مزاياه والتفريط فيه هو النقص الذي أشرنا الى رزاياه والافراط فيه مذمة تبعث على الجور والاعتداء فالمفرط في تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق ويرى عصبته منفردة باستحقاق الكرامة وينظر الى الاجنبي عنه كما ينظر الى الهمل لا يعترف له بحق ولا يرعى له ذمة فيخرج بذلك عن جادة العدل فتنقلب منفعة التعصب الى مضرة ويذهب بهاء الامة بل يتقوض مجدها فان العدل قوام الاجتماع الانساني وبه حياة الامم وكل قوة لا تخضع للعدل فمصيرها الى الزوال وهذا الحد من الافراط في التعصب هو الممقوت على لسان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في قوله ليس منا من دعا الى عصبية الحديث. التعصب كما يطلق ويراد به النعرة على الجنس ومرجعها رابطة النسب والاجتماع في منبت واحد كذلك توسع أهل العرف فيه فاطلقوه على قيام الملتحمين بصلة الدين لمناصرة بعضهم بعضا والمتنطعون من متقلدة الافرنج يخصون هذا النوع منه بالمقت ويرمونه بالتعس ولا نحال مذهبهم هذا مذهب العقل فان لحمة يصير بها المتفرقون الى وحدة تندفع عنها قوة لدفع الغائلات وكسب الكمالات لا يختلف شأنها اذا كان مرجعها الدين أو النسب وقد كان من تقدير العزيز العليم وجود الرابطتين في أقوام مختلفة من البشر وعن كل منها صدرت في العالم آثار جليلة يفتخر بها الكون الانساني وليس يوجد عند العقل أدنى فرق بين مدافعة القريب عن قريبه ومعاونته على حاجات معيشته وبين ما يصدر عن ذلك من المتلاحمين بصلة المعتقد ورابطة المشرب. فتعصب المشتركين في

الدين المتوافقين في أصول العقائد بعضهم لبعض اذا وقف عند الاعتدال ولم يدفعهم الى جور في المعاملة ولا انتهاك لحرمة المخالف لهم أو نقض لذمته فهو فضيلة من أجل الفضائل الانسانية وأوفرها نفعا وأجزلها فائدة بل هو أقدس رابطة وأولاها اذا استحكمت صعدت بذوي المكنة فيها الى أوج السيادة وذروة المجد خصوصا ان كانوا من قبيل قوي فيهم سلطان الدين واشتدت سطوته على الاهواء الجنسية حتى أشرف بها على الزوال كما في أهل الديانة الاسلامية على ما أشرنا اليه في العدد الثاني من جريدتنا (*)

ولا يؤخذ علينا في القول بانه من أقدس الروابط فانه كما يطمس رسوم الاختلاف بين أشخاص وآحاد متعددة ويصل ما بينهم في المقاصد والعزائم والاعمال كذلك يمحو أثر المنابذة والمنافرة بين القبائل والعشائر بل الاجناس المتخالفة في المنابت واللغات والعادات بل المتباعدة في الصور والاشكال ويحول أهواءها المتضاربة الى قصد واحد وهو تأصيل المجد وتأييد الشرف وتخليد الذكر تحت الاسم الجامع لهم. هذا الاثر الجليل عهد لقوة التعصب الديني وشهد عليه التاريخ بعد ما أرشد اليه العقل الصحيح وما كانت رابطة الجنس لتقوى على شيء منه

تفشغ جماعة من متزندقة هذه الاوقات في بيان مفاسد التعصب الديني وزعموا ان حمية أهل الدين لما يؤخذ به اخوانهم من ضيم وتضافرهم لدفع ما يلم بدينهم من غاشية الوهن والضعف هو الذي يصدهم عن السير الى كمال المدنية ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة ويرمي بهم في ظلمات الجهل ويحملهم على الجور والظلم والعدوان على من يخالفهم في دينهم ومن رأي

(*) يشير الى مقالة نفيسة عنوانها « الجنسية والديانة الاسلامية » وسننشرها في عدد آخر

اولئك المتفقين ان لا سبيل لدرء المفاسد واستكمال المصالح الا بانحلال العصبية الدينية ومحو أثرها وتخليص العقول من سلطة العقائد وكثيراً ما يرجفون باهل الدين الاسلامي ويخوضون في نسبة مذام التعصب اليهم كذب الحراصون ان الدين أول معلم وأرشد استاذ وأهدى قائد للانفس الى اكتساب العلوم والتوسع في المعارف وأرحم مؤدب وأبصر مروض يطبع الارواح على الآداب الحسنة والخلائق الكريمة ويقيمها على جادة العدل وينبه فيها حاسة الشفقة والرحمة خصوصا دين الاسلام فهو الذي رفع أمة كانت من أعرق الامم في التوحش والقسوة والخشونة وسما بها الى أرقى مراقي الحكمة والمدنية في أقرب مدة وهي الامة العربية

قد يطرأ على التعصب الديني من التغالي والافراط مثل ما يعرض على التعصب الجنسي فيفضي الى ظلم وجور بل ربما يؤدي الى قيام أهل الدين لابادة مخالفيهم ومحو وجودهم كما قامت الامم الغربية واندفعت على بلاد الشرق لمحض الفتك والابادة لا للفتح ولا للدعوة الى الدين في الحرب الهائلة المعروفة بحرب الصليب وكما فعل الاسبانيوليون بمسلمي الاندلس وكما وقع قبل هذا وذاك في بداية ما حصلت الشوكة للدين المسيحي ان صاحب السلطان من المسيحيين جمع اليهود في القدس وأحرقهم الا ان هذا العارض لمخالفته لاصول الدين قلما تمتد له مدة ثم يرجع ارباب الدين الى أصوله القائمة على قواعد السلم والرحمة والعدل

أما أهل الدين الاسلامي فمنهم طوائف شطت في تعصبها في الاجيال الماضية الا انه لم يصل بهم الافراط الى حد يقصدون فيه الابادة واخلاء الارض من مخالفيهم في دينهم وما عهد ذلك في تاريخ المسلمين بعد ما تجاوزوا

حدود جزيرة العرب ولنا الدليل الاقوم على ما نقول وهو وجود الملل المختلفة في ديارهم الى الآن حافظة لعقائدها وعوائدها من يوم تسلطوا عليها وهم في عنفوان القوة وهي في وهن الضعف . نعم كان للمسلمين ولع بتوسيع الممالك وامتداد الفتوحات وكانت لهم شدة على من يعارضهم في سلطانهم الا انهم كانوا مع ذلك يحفظون حرمة الاديان ويرعون حق الذمة ويعرفون لمن خضع لهم من الملل المختلفة حقه ويدفعون عنه غائلة العدوان ومن العقائد الراسخة في نفوسهم (ان من رضي بذمتنا فله ما لنا وعليه ما علينا) ولم يعدلوا في معاملتهم لغيرهم عن أمر الله في قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين) اللهم الا ما لا تخلو عنه الطباع البشرية ومن نشأة المسلمين الى اليوم لم يدفعوا أحداً من مخالفيهم عن التقدم الى ما يستحقه من علو الرتبة وارتفاع المكانة ولقد بما في دول المسلمين على اختلافها الى المراتب العالية كثير من أرباب الاديان المختلفة وكان ذلك في شدتها وكمال قوتها ولم يزل الامر على ما كان وفي الظن ان الامم الغربية لم تبلغ هذه الدرجة من العدل الى اليوم (فحقاً لقوم يظنون ان المسلمين بتعصبهم يمنعون مخالفيهم من حقوقهم) لم يسلك المسلمون من عهد قوتهم مسلك الالزام بدينهم والاجبار على قبوله مع شدة بأسهم في بدايات دولهم وتغلغلهم في افتتاح الاقطار واندفاع همهم للبسطة في الملك والسلطة وانما كانت لهم دعوة يلزمونها فان قبلت والا استبدلوا بها رسما ماليا يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الاسلامي . هذا على خلاف متنصرة الرومانيين واليونانيين أيام شوكتهم الاولى فانهم ما كانوا يطأون أرضاً الا ويلزمون أهلها بخلع اديانهم والتطوق

بدين أولئك المسلطين وهو الدين المسيحي كما فعلوا في مصر وسوريا بل وفي البلاد الافرنجية نفسها ـ هذا فصل من الكلام ساق اليه البيان وفيه تبصرة لمن يتبصر وتذكرة لمن يتذكر ثم أعود بك الى سابق الحديث فيما كنا بصدده ـ هل لعاقل لم يصب برزيئة في عقله ان يمدّ الاعتدال من التعصب الديني نقيصة ؟ وهل يوجد فرق بينه وبين التعصب الجنسي الا بما يكون به التعصب الديني أقدس وأطهر وأعم فائدة ؟ لا نخال عاقلا يرتاب في صحة ما قررناه فما لاولئك القوم يهذرون بما لا يدرون ؟ أي أصل من أصول العقل يستندون اليه في المفاخرة والمباهاة بالتعصب الجنسي فقط واعتقاده فضيلة من أشرف الفضائل ويعبرون عنه بمحبة الوطن (*) وأي قاعدة من قواعد العمران البشري يعتمدون عليها في التهاون بالتعصب الديني المعتدل وحسبانه نقيصة يجب الترفع عنها ؟

نعم ان الافرنج تأكد لديهم أن اقوى رابطة بين المسلمين انما هي الرابطة الدينية وأدركوا أن قوتهم لا تكون الا بالعصبية الاعتقادية ولاولئك الافرنج مطامع في ديار المسلمين وأوطانهم فتوجهت عنايتهم الى بث هذه الافكار الساقطة بين أرباب الديانة الاسلامية وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة وفصم حبالها لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية ويمزقوها شيعا وأحزابا فانهم علموا كما علمنا وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية الا في دينهم واعتقادهم وتسنى للمفسدين نجاح في بعض الاقطار الاسلامية وتبعهم بعض الغفل من المسلمين جهلا وتقليداً فساعدوهم على التغيير من

(*) تأمل كيف صرح بان الذين يحاولون منع التعصب الديني يريدون ان يستبدلوا به التعصب الوطني

العصبية الدينية بعد ما فقدوها ولم يستبدلوا بها رابطة الجنس (الوطنية) التي يبالغون في تعظيمها واحترامها حمقاً منهم وسفاهة فمثلهم كمثل من هدم بيته قبل أن يهيء لنفسه مسكناً سواه فاضطر للاقامة بالعراء معرضاً لفواعل الجو وما تصول به على حياته

هذا أسلوب من السياسة الاوربية أجادت الدول اختباره وجنت ثمار فاخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم فكثير من تلك الدول نصبت الحبائل في البلاد العثمانية والمصرية وغيرها من الممالك الاسلامية ولم تعدم صيداً من الامراء والمنتسبين الى العلم والمدنية الجديدة واستعملتهم آلة في بلوغ مقاصدها من بلادهم وليس عجبنا من الدهريين والزنادقة ممن يتسترون بلباس الاسلام أن يميلوا مع هذه الاهواء الباطلة ولكنا نعجب من أن بعضاً من سذج المسلمين مع بقائهم على عقائدهم وثباتهم في ايمانهم يسفكون الكلام في ذم التعصب الديني ويلهجون في رمي المتعصبين بالخشونة والبعد عن معدات المدنية الحاضرة ولا يعلم أولئك المسلمون انهم بهذا يشقون عصاهم ويفسدون شأنهم ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المارقين يطلبون محو التعصب المعتدل وفي محوه محو الملة ودفعها الى أيدي الاجانب يستعبدونها ما دامت الارض أرضاً والسماء سماء

والله ما عجبنا من هؤلاء وهؤلاء بأشد من العجب لاحوال الغربيين من الامم الافرنجية الذين يفرغون وسعهم لنشر هذه الافكار بين الشرقيين ولا يخجلون من تبشيع التعصب الديني ورمي المتعصبين بالخشونة . الافرنج أشد الناس في هذا النوع من التعصب وأحرصهم على القيام بدواعيه ومن

(*) ذكرنا من مثال ذلك ان الانكليز سعوا بنشر جريدة وانشاء مدرسة لبث هذه الاباطيل حذفناه اختصاراً وأما في مصر فمن عمل لواء الوطنية يدعي بعض الانكليز

القواعد الاساسية في حكوملتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين والقائمين بنشره ومساعدتهم على نجاح أعمالهم واذا عدت عادية مما لايخلوعنه الاجتماع البشري على واحد ممن على دينهم ومذهبهم في ناحية من نواحي الشرق سمعت صياحاً وعويلا وهيعات ونبآت تتلاقى أمواجها في جو بلاد المدنية الغربية وينادي جميعهم ألا قد ألمت ملمة وحدثت حادثة مهمة فاجمعوا الامر وخذوا الاهبة لتدارك الواقعة والاحتياط من وقوع مثلها حتى لاتخدش الجامعة الدينية وتراهم على اختلافهم في الاجناس وتباغضهم وتحاقدهم وتنابذهم في السياسات وترقب كل دولة منهم لعثرة الاخرى حتى توقع بها السوء يتقاربون ويتآلفون ويتحدون في توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم في الدين وان كان في أقصى قاصية من الارض ولو تقطعت بينه وبينهم الانساب الجنسية

أما لوفاض طوفان الفتن وطم وجه الارض وعم وجه البسيطة من دماء المخالفين لهم في الدين والمذهب فلا ينبض فيهم عرق ولا يتنبه لهم احساس بل يتفاقلون عنه ويذرونه وما يجرف حتى يأخذ مده الغاية من حده ويذهلون عما أودع في الفطر البشرية من الشفقة الانسانية والمرحمة الطبيعية كانما يعدون الخارجين عن دينهم من الحيوانات السائمة والهمل الراعية وليس من نوع الانسان الذي يزعم الاوربيون انهم حماته وانصاره وليس هذا خاصاً بالمتدينين منهم بل الدهريون ومن لا يعتقدون بالله وكتبه ورسله يسابقون المتدينين في تعصبهم الديني ولا يألون جهداً في تقوية عصبيتهم وليتهم يقفون عند الحق ولكن كثيراً ما تجاوزوه . أما ان شأن الافرنج في تمسكهم بالعصبية الدينية لغريب . يبلغ الرجل منهم أعلى درجة

في الحرية كغلادستون وأضرابه ثم لا نجد كلمة تصدر عنه الا وفيها نفثة من روح بطرس الراهب بل لانرى روحه الا نسخة من روحه (انظر الى كتب غلادستون وخطبه السابقة)

فيا أيتها الامة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ودماؤكم فلا تريقوها وأرواحكم فلا ترهقوها وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت. هذه هي روابطكم الدينية لا تغرنكم الوساوس ولا تستهوينكم الترهات ولا تدهشكم زخارف الباطل ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي والفارسي بالهندي والمصري بالمغربي وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى ان الرجل منهم ليالم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر وان تناءت دياره . وتقاصت أقطاره . هذه صلة من أمتن الصلات ساقها الله اليكم وفيها عزتكم ومنعتكم وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها . ولكن عليكم في رعايتها ان تخضعوا لسطوة العدل فالعدل أساس الكون وبه قوامه ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم وعليكم ان تتقوا الله وتلزموا أوامره في حفظ الذمم ومعرفة الحقوق لاربابها وحسن المعاملة واحكام الالفة في المنافع الوطنية بينكم وبين أبناء أوطانكم وجيرانكم من أرباب الاديان المختلفة فان مصالحكم لا تقوم الا بمصالحهم كما لا تقوم مصالحهم الا بمصالحكم وعليكم ان لا تجعلوا عصبية الدين وسيلة للعدوان وذريعة لانتهاك الحقوق فان دينكم ينهاكم عن ذلك ويوعدكم عليه بأشد العقاب . هذا ولا تجعلوا عصبيتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض بل تضافروا بها على مباراة الامم في القوة والمنعة والشوكة والسلطان ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة والفضائل

والكمالات الانسانية . اجعلوا عصبيتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم واجتماع شملكم وأخذ كل منكم بيد أخيه ليرفعه من هوة النقص الى حضيض الكمال وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان . (العروة الوثقى)

يقول منشيء هذه المجلة ان الوطنية العمياء التي يلفظ بها بعض الناس في مصر هي أضر على الرابطة الاسلامية من ذم التعصب الديني لانها خرتها وخصيصتها ولذلك ترى اصحابها يمقتون غير المصري ممن يقيم في مصر وان قام لهم باشرف الخدم وهي خدمة الدين ولا يستحي كتابهم حيث يسجلون في جرائدهم مثل قولهم ان هؤلاء غرباء وجاءوا بلادنا ليتعيشوا ويترياشوا وما أشبه هذه السخافات فوا إسلاماه . ولا حول ولا قوة الا بالله

باب التربية والتعليم

﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾

(٢١) من هيلانة الى اراسم في ٢ يوليه سنة ـ ١٨٥

ترى ان الكمال لا يخلو من نقص والحسن لا يعرى من قبح ؟ اني والحق اقول اراني مدفوعة الى اعتقاد ذلك ببواعث كافية . فما عاينته من احوال الانكليز واخلاقهم ينطبق انطباقاً تاماً في بعض المواضع على ما سمعته عنهم من السر جون سنت اندروز ولكن تصفحي هذه الاخلاق وترديد فكري فيها قد اضطرني الى الاخذ بالحزم في امتداحها وترك المجازفة في اطرائها . لأكثر الامهات اللاتي الاقيهن في بيت السيدة وارنجتون اولاد عديدون فما اعجب ما يرى في جميعهم من مقدار تحققهم بما لمخائلطيهم من الاوهام وسرعة انطباع معتقداتهم الباطلة في نفوسهم فتراهم على قلة علمهم بالامور